أمودّو 15
الحلقة 4

أيدي
كلب الأطلس المجهول

مقدمة

من سلالة الذئب الرمادي المدجن؛
أول لاحم ثدي دجنه الإنسان قبل أكثر من أربعة عشر ألف سنة،
حيوان رافق الملوك وكبار القادة العسكريين، ونال عندهم الحظوة والمكانة الكبيرة.
حارس يقظ حازم
حاضر الذهن، قوي مدافع شرس،
مطيع ودود، بحسب ما يقتضيه الظرف والمقام.
إنه أيدي
الكلب الأطلسي الذي شارك الأسد الأطلسي موطنه بجبال الأطلس
سلالته متفردة
تاريخه عريق
وخدماته لساكنة الشمال الإفريقي النبيلة ممتدة عبر الزمان والمكان.
كلب للرعي والحماية والإستئناس
حارس مخيف، ورادع للمهاجمين بفكيه القويين وأنيابه المدببة ومخالبه الحادة.
يتمتع بغرائز وقائية قوية تجعله كثير الحذر من الغرباء،
لكنه سهل الترويض فيصبح كلبا أليفا حنونا ومخلصا خاضعاً لمالكه ولأفراد أسرته.

رغم تعدد محاسن سلالته، فإن الإستفادة منه ونيل ودّه منوط بالتحري والتدقيق بخصوص السلالة الحقيقية والأصلية غير المهجنة، وإلى التدريب والتحفيز الذهني والبدني في الصغر لمنع تطور السلوكيات السلبية المانعة من الاستفادة من خدماته الهائلة.

قلة قليلة فقط من تعرف أيدي،
هذا النوع المغربي الأصيل المجهول في بلده الأصلي.

JINGLE

على غرار الإسم العلمي العالمي للحمار *asinus* المأخوذ من القاموس الأمازيغي، أستُمد إسم هذا الكلب كذلك، من نفس المعجم، فأُطلق عليه أيدي الأطلس.

كلب مصنف ومعروف بتفرده بامتيازات خاصة على مستوى أحياء الأرض، إلا أن الإلتفات إليه في موطنه الأصلي المغاربي يكاد يكون منعدماً، وفي ظل الاهتمام المتزايد والإقبال الكبير في الآونة الأخيرة على تربية كلاب جلها من السلالات الأجنبية.

طوال ترددنا المتكرر على هذه السلاسل الأطلسية، صادفناه كثيراً ولطالما شغلنا موضوع هذا الحيوان الملفت الأليف، إذ لا يكاد يخلو منه مكان هنا بهذه الجبال.

يُرى ماراً مُهابًا تارة، أو متسكعاً مُهانا هائماً تارةً أخرى بلا قرار.
إسهامه في دورة الحياة المعيشية بمجالات الأطلس واضح وكبير.
مع ذلك يبدو أن صراعه من أجل البقاء مرير.
ظروفه الصعبة، وضعف رعايته أفضت طوراً إلى تشرد أعداد منه خارج المنازل والدواوير.

تقاسم حرقة الخوف على مصير هذا الحيوان النبيل، أول الغيث لإنقاذه، قبل أن تنطفئ شعلته وللأبد.
هذا الكلب الممتاز بالفعل، على شفا الانقراض.

جهل الكثير من المغاربة بانتمائه الأطلسي المغربي الخالص، شكَّل لنا همًّا مؤرقا مضافاً حملناه على الدوام.
ولعل الرسالة تصل لمن يملكون دعماً وبيدهم حيلة لإنقاذه.

ربما نحتاج أحياناً إلى بعض الحظ، أو إلى بعض الصدف حتى نتحمس لإنجاز عمل مثمر ما.

قادتنا محاولات استكشاف المنطقة إلى اعتلاء تلة أقشَّا، المشرفة على مركز املشيل.
هنالك صادفنا حارس أبراج هوائية، وضالتَنا أيدي الأطلس.

العم سعيد، الرجل البسيط البشوش دائما.
رجل غمرنا طيبوبةً ودماثة
وأي شيء فيه بعد هذا لا يُعشق؟

حارس يؤازره في مهمته كلبه الأطلسي الأبيض الجميل.

- "السلام عليكم
- وعليكم السلام
- كيف حالك؟ ألم يخفك الكلب؟"

المنظر البانورامي من الأعلى، هو أيضا جميل ورائع بالرغم من هبوب ريح قارية أشبه بصوت صب الماء داخل قارورة زجاجية.

- "لا تحاول الإقتراب أكثر
لا، لا تقترب
هذا يكفي! لا تقرّب يدك!"

الكلب "ملُّول" كما يطلق عليه العم سعيد، كلب عليه هالة،
ثُلاجِي متلألئ إشراقةً ونشاطاً يزداد منسوبه في حضرة صاحبه أكثر فأكثر.

مع إقبال العم سعيد وإشارته، يُظهر الكلب ودّاً ولطافةً عاليةً تعبر عن مدى الانسجام والارتباط التامّين بين الإثنين.

وجدير بهذا الحارس أن يصمد في مهمته الصعبة هنا رفقة كلب ودود شرس.
وفي جو مناخ قاس، ورياح باردة هوجاء تشهدها هذه الربوة أكثر من غيرها.

استجواب سعيد أوتعي / حارس أبراج هوائية

- "كنا نرضعه بواسطة قنينة الرضاعة،
وربيناه منذ أن كان صغيراً
- هذا النوع يدعى أيدي
- نحن ساكنة الجبل، لا نعرف
- لا تعرفون!
- نحن لا نعرف سوى أنه كلب
نحن لسنا في المدينة ولا نعرف كلب المدينة
أنا فقط عثرت عليه فأعجبني
- هل هو حارس جيد؟

- نعم، عندما أريد ضرب أحدهم
يهمّ هو كذلك بمهاجمته
ينتبه لي
فإذا أمرته بضبط نفسه ينضبط، فهو يطيعني جيداً.
- كم عمره؟
- خمس سنوات والله أعلم
كان لدينا كلب شرس ففقدناه، ثم أتينا بهذا
- هل قمت بفحصه لدى الطبيب؟
- لا، لم يسبق لي أن فحصته
هو يعس جيداً خلال الليل
تأتي الثعالب لافتراس الدجاج فيهاجمها
إنه يشم رائحة الانسان وهو لا يزال بعيداً قبل أن يصعد الجبل
لقد شم رائحتكم عندما جئتم قبل صعودكم
- هل أطلقت عليه إسماً؟
- "ملّول"هو إسمه
- ملّول؟
- نعم، ملّول
- مُره بالمجيء
- ملول، هيا يا ملول"

تم الاعتراف الرسمي بكلب الأطلس من طرف الاتحاد الدولي للكلاب في ستينيات القرن العشرين، وأُطلق عليه اسم "أيدي الأطلس" بقوة المعايير التي فرضت الإعتراف بتميزه العالي.
لكن هذا التراث الحيواني السلالي لا زال نكرة في بلده الأصلي رغم إدراجه ضمن السلالات العالمية المصنفة.

سنة 1984، وفي محاولة للتعريف به أكثر، أصدر بريد المغرب طابعاً بريدياً يخلد ذكراه ويرسخ الإعتراف بأصالته الأطلسية كتراث حيواني مغربي خالص، يستحق الإحتفاء به ويحق للمواطنين الاعتزازُ بانتمائه إلى بلدهم.

بهذا الموقع، وقفنا أيضا على بقايا قلعة منهارة تجاذبنا الحديث حولها مع مستقبلنا، وسمعنا منه روايته المشيرةَ إلى انتمائها لعهد الحماية.

لحق الخراب سور الحصن من واجهته الأمامية المقابلة للطريق الرئيسية المؤدية إليه.
وانهارت الغرف والمرافق من خلفه، فصارت ركاماً من حجر يسد أبوابه القديمة ويطمس معالم بنيانه.

معظم القلعة استحال أطلالا بالية دُفنت تحتها الآمال في بعثها
إذ لم يعد حولها مورد بشري يزودها بالعمران منذ رحيل المحتلين.

استجواب سعيد أوتعي / حارس الهوائيات

- "هل كانت كل هذه الغرف ضمن القلعة؟
- نعم هي قلعة
كان هنا النصارى وكانوا يسكنون هنا
إذا دخلت ستجد 50 غرفة تقريباً
ظلوا هنا إلى أن احتلوا جبل بادو
كان السوق يقام بمنطقة سّونتات
عندما وصلوا إلى جبل بادو، ردهم الفرنسيون
هذه هي قلعة سيدي ميمون

- الفرنسيون هم من بنوا كل هذا
- الفرنسيون هم من بنوه
لكنهم لم يبنوه بأنفسهم
- نعم جنودهم هم من أقاموا هذا
- أليس ساكنة المنطقة من أُجبروا على بنائها؟
- بلى، إنهم يجبرون الأهالي ليبنوا لهم هذه المباني
كانوا يأتون بأيت سخمان وزيان للبناء
- لأن الفرنسيين يجهلون البناء بهذا الشكل
- هم من كانوا يقومون بالبناء ومن قبضوا عليه
- هذه بيوتهم
- إنها صغيرة
هنا كانوا يسكنون"

تداعت جدران هذه القلعة، واقتُلعت أسقفها من خشب غابات الأطلس، وانتزع بعض الأهالي أبوابها والأسلاك الشائكة من حولها.. وكلَّ شيء صادفوه في طريقهم.
ولم تسلم بعض القبور من النبش، فانتزعت شواهدها بحثا عن أشياء نفيسة عالقة بأشلاء القتلى الفرنسيين.
العم سعيد روى لنا هذا الخبر، وأكد أن القلعة كانت لاتزال واقفة وفي حالة جيدة وإلى عهد قريب.

اكتشفنا شاهدا يتيما من صفيحة حجرية عليها اسم عسكري فرنسي من أصل عبري، مكتوب بالحرف اللاتيني.
من سخرية الأقدار أن هذا الجندي أتى ليبني له مجدا زائفا، فمات بهذا القفر مجهولا.

جاء ليقصف منطقة شهدت تجمعات كبرى لبني جلدته من يهود المغرب الذين آواهم هؤلاء الأمازيغ قبل مئات السنين.
فهلك ولقي حتفه رغم أنفه حين ختله "عدوه"، حسب إدعاء كتّاب مثل هذه الشواهد أمامنا.

على بعد مسافة قريبة من هذه النقطة الإستراتيجية، توجد بناية عسكرية أخرى فوق رابية مجاورة.

الشعور بالتفوق العنصري سوّغ للمحتل الفصل الاجتماعي بين جنوده وبين فلول المرتزقة الأفارقة المتخندقين خلف الحيطان.

بهذا الحصن، كان يقطن جيش الگوم الموالي للفرنسيين
وكان أهالي المنطقة يطلقون عليهم لقب "إمزَّانين" باللغة الأمازيغية، ومعناه الخونة.

بقدر حالة التردي الذي آل إليه هذا الموقع الأثري، شعرنا بحسرة عارمة من رؤية هوائيات متطاولة على هذه المعلمة دون مراعاة بُناتها للمعايير ولا لخصوصية الموقع

هذا شكل من أشكال تبخيس التراث المادي الثابت عوض تثمينه ورصد منابعه واستثمار معالمه لأجل ضمان موارد مالية تنعش المجال.
في ظل تحديات تحقيق العبور الفعلي الى النمو والازدهار، لا شيء يمكن أن يتحقق مع حجب الرهانات وتفويت الفرص المتاحة ونسف الإمكانات.

هذا الموقع المتميز مؤهل بلا مراء لإقامة مشروع سياحي أو أكثر لسياحات متعددة الغايات تتيح فرصا عديدة لشتى أنواع الزائرين بمختلف هواياتهم.

عندما هممنا بالمغادرة، أسرع الكلب "ملول" بالجري وراءنا مبصبصاً ومُعربا عن شعور غريب تمتزج فيه السعادة والتأثر وعدم رغبته في انصرافنا.

وكأنه يلح على ضرورة مكوثنا ولو للحظات إضافية أخرى.
لكن ذكاءه ووفاءه لمالكه ولمهمته جعلاه يتخلى عن المواصلة،
فقرر العودة إلى حيث أتى.

كانت هذه التجربة الميدانية درسا تطبيقيا جيدا أكد لنا يقينا صحة ما يحكى حول طباع هذا الكلب المغربي الأصيل.

لتتبع خصوصيات هذه الفصيلة أكثر، ارتأينا تهيئ تجربة مغايرة مع أنثى هذا الكلب الأطلسي حتى لا يفوتنا المزيد و المعرفة الشاملة عن مواصفات جنسيه كليهما، من طريق مراقبتهما ميدانيا.
لإشباع هذا الفضول، رتبنا موعدا خاصا مع أحد المنبهرين المهتمين القلائل بالمزايا الهائلة لهذا النوع المغربي المغمور.

الفـــــاصل

من الدار البيضاء حتى إملشيل، سافر إلينا السيد عثمان برادة رفقة كلبته "ريشة" المشوقةِ القد، المتلئةِ عنفواناً وحيوية.

"ريشة"، حقا، إسم على مسمى:
خفة وجمال وقوة،
خفيفة هيفاء
نشيطة خافقة كريشة طائر العنقاء الأسطوري

من رمادها بعثها السيد عثمان، فترعرعت في كنفه وصونه منقذا إياها من حياة التشرد والمبيت في العراء ونظرة النبذ والإشمئزاز، ككثير من الكلاب الهائمة بشتى المناطق.

حوار الحسين مع عثمان برادة / مهتم بسلالة أيدي الأطلس

- "ما الذي أتى بك الى هذه المنطقة يا سيد عثمان؟
- أتيت للبحث عن كلب كهذه لأحد أصدقائي
لأن هناك معرضاً سيقام إن شاء الله نهاية الشهر
- معرض لهذه الفصيلة؟
- لشتى السلالات، لكن هناك دورةً خاصةً بفصيلة الأيدي
- ستشارك فيها؟
- إن شاء الله"

ومثلما انتقى العم سعيد لكلبه إسم ملول الأمازيغي الدال على الصفاء والبياض، اختار السيد عثمان لريشة هذا الإسم العربي الجميل، بخلاف ما دأب عليه غالبية مربي الكلاب من إطلاق أسماء أجنبية عليها ومخاطبتها بلغات دخيلة.
فحتى أيدي الأطلس، لم يسلم هو كذلك من نزعة التغريب وتحريف الأسماء الوطنية، فصار البعض يطلق عليه اسم "العايدي" بلا مسوغ.

حوار الحسين مع عثمان برادة / مهتم بسلالة أيدي الأطلس

- "كيف اهتممت بهذه الفصيلة من الكلاب؟
كيف خطرت لك الفكرة؟
- إنها أول ما امتلكته من الكلاب
وكنت دائما أرغب في تربية كلب
- ألم يسبق لك أن امتلكت كلباً؟
- لم يسبق أن كان لدي كلب
وكانت لدي رغبة في امتلاك كلب من نوع آخر
إلى أن تعرفت على هذا النوع
- هل كانت مجرد صدفة؟
أم أنك رأيته في مكان ما؟
- رأيته وأنا في طريقي إلى العمل
كنت في تنقل إلى عين تارميلات
وكانت بجانب الطريق كلاب كثيرة كهذه
جاثمة مكسوة صوفاً وجميلة

ومن حينها بدأت في البحث
لأن هذه الكلاب تبدو لي غير عادية
وليست كتلك الكلاب التي نلتقي بها في الشوارع
- نوع مغاير
- نوع خاص تختلف في شعرها وأفواهها وفي كل شيء
وعندما صرت أبحث
تبين لي أنها سلالة لنوع من الكلاب
وهي مسجلة في الاتحاد الدولي للكلاب سنة 1963
- منذ الستينيات وهو مصنف!
- نعم، منذ الستينيات
-هل تم تصنيفه داخل المغرب أم في مكان آخر؟
- بل سجّلها المغرب في الإتحاد الدولي وفقاً لمعايير خاصة
كشكل الأذنين والفرو والذيل
ومنذ ذلك الحين، قررت أن أربي هذه الفصيلة
عوض البحث عن كلب آخر
مادام أنه لدينا سلالة جميلة
مغربية أصيلة خالصة
وعندما استطعتُ أخذ كلب
- بحثتَ عن هذه السلالة
- نعم، بحثتُ عن هذه الفصيلة
فبدأت من الدار البيضاء لأنني من هناك
ثم بدأت في الدخول إلى مواقع التواصل الإجتماعي أبحث وأسأل
وصراحة لم أعثر على شيء
البائعون يأتون بالجِراء من الجبال
وعندما تشتري منهم، فأنت وحظك!
لذلك واصلتُ البحث، فذهبت ناحية آزرو وترميلات
وجئت إلى هنا كذلك
وعندما أرى أي دار منعزلة خلال تنقلي على الطريق
أتجه إليها أنا وزوجتي واسأل قاطنيها إن كان لديهم كلب
أغلب الناس نجده عندهم
أولئك الذين يسكنون بعيداً عن الطريق
يستعملون هذا النوع من الكلاب
فهو كلب للعمل يستعملونه عند تنقلهم للرعي

ويستعملونه للحراسة عندما يكونون مقيمين في منازلهم
وسبحان الله يقال إن هذا الكلب
يعرف عدد ساكنة المنزل
بمعنى أنه لا يمكن أن يترك أي معزة مفقودة
وإن حصل الأمر، فسيستمر في البحث عنها إلى أن يأتي بها
وهذا هو سبب اعتماد أناس تلك المناطق
على هذه الكلاب كثيراً للعمل معهم
وواصلتُ بحثي كذلك إلى أن عثرت على 'ريشة'
-وأين وجدت 'ريشة'؟
- جهة تيمحضيت
- عند من؟
- وجدتها عند أحد الرعاة
كانت الوحيدة المتبقية"

أبانت "ريشة"، عن قدرة فائقة في الركض وسرعة الحركة، وكسائر كلاب الأطلس، عندما تُمنح الحرية والتمرين الكافي والتدريب الصحيح، في مرحلة مبكرة، تُصبح ماهرة ومستجيبة وأكثر انسجاماً وتفاهماً مع مالكها.

يكفي أن تلبّى حاجياتُها من الغذاء الجيد والرعاية اليومية والتمرين اليومي المناسب، وتُمنح فرصة الجري واللعب معها في مساحات شاسعة.
غير أن هذه السلالة تمتاز بحساسية وبمزاج يحتاج إلى التحفيز الإيجابي، بعيداً عن العقاب والزجر القاسي الذي لا تتقبله.

يتوفر أيدي الأطلس على أطراف قوية بأربعة أصابع في نهايتها مخالب حادة، متوسط طوله بين 52 و 62 سم، بينما يصل طول الإناث ما بين 45 و 58 سم فقط.
وزنه يتراوح بين 25 حتى 55 كلغ، بحسب بيئته وظروف معيشته.
ويعيش لفترة عمرية متراوحة ما بين 8 إلى 13 سنة متوقفة على نوع تغذيته وبيئة حياته كذلك.

تبلغ إناثه سن البلوغ بعد حوالي ثمانية أشهر من ولادتها، بينما تبلغ ذكورها قبل ذلك بشهر تقريبا. وتلد ما بين خمسة إلى ثمانية جراء.
تربيته ليست صعبة لكنها تتطلب عناية خاصة ومختلفة قليلا عن باقي الكلاب.

فروه الكث الذي يحميه من البرد والحر يغني عن توفير مأوى خاص له وعن القلق بشأن الطقس الذي يتواجد به.

حوار الحسين مع عثمان برادة / مهتم بسلالة أيدي الأطلس

- "يبدو أن المغاربة لا يعرفون أن لدينا فصيلة مغربية
- لا، هم لا يعرفون
مؤخراً حين أسافر مع 'ريشة'
يستوقفني الناس ويقولون لي بأنها كلبة جميلة
ويسألون عن مصدرها وعن فصيلتها
وعندما أخبرهم بكونها فصيلة مغربية تستوطن الجبال
لا يصدقني بعضهم، فيقول إن هذا غير ممكن
وأن مثل هذا الجَمال لا يوجد عندنا في البلد

- هي حالياً مهددة بالانقراض
وأتمنى أن يبدأ الناس بالتحرك وإدراك أهميتها
أنظر، هذا أحد الرعاة، ويبدو ان معه كلباً من فصيلة أيدي
نمضي إليه لعلنا نجد عنده شيئاً"

في الخلاء، تشعر الأحياء بالإنعتاق وبحرية أكبر.

- "أنظر! هاهو كلب قادم مثله"

يبدو أن ريشة جد سعيدة بفرصة الحصول على هذه الجولة غير المنتظرة.
وهي أكثر سعادة بالالتقاء بهذا الكلب البلَدي المختلف عنها كثيراً في نفس المواصفات النموذجية للكلب الأطلسي.

حوار الحسين مع عثمان

- "أعتقد أنه من فصيلة الأيدي لكنه مهجن
- أعتقد أنه لا يوافق المعايير
- هذا واضح
- حتى كمية الفرو

كما ترى الفرق بين ذيل ريشة وذيل هذا الكلب
فيه بعض الخصائص
لكنني أعتقد أنه لن يُقبل للتأهل وفق المعايير"

عادة، يمتلك الأيدي ذيلا طويلا، ممتلئًا زغبا، وفروا كثا خشنا أو متوسط الكثافة. كما يمتاز بقامة متوسطة، وبنية صلبة متناسقة، وجلد متين، ورقبة قوية، وأعين متباعدة.

بين الكلاب، عموما، لغة تواصل بواسطة تعابير الجسد.
وباستطاعتها أن تشعر بمزاج الآخرين.

حوار مع بن الحسن احساين / راعي

- "السلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله
- هل أنت بخير
- لا بأس
- هذا السيد يبحث عن كلب كهذا
- غير موجود
هذا هو كل ما لدي
- هذا لك
- نعم
هل يريد أن يشتري
- أرغب بذلك بشدة
- لن أبيع
- أنت لن تبيعه
- لا!
إنه يحرس الماشية
ويحرس الدار
- هو مهم بالنسبة لكم
- هو مهم جداً بالنسبة لنا
ولا أستطيع أن أبيعه
- هل تُدخلونه إلى البيت؟

- لا ندخله، فهو يبقى قريباً من الأغنام فحسب
- يحرس الأغنام
- نعم يحرسها وينام وسط القطيع
وينتبه إلى المنزل وإلى الماشية
- يحرسها مثلاً من هجوم الذئاب وغيرها
- الذئاب كما الإنسان لن يتركها تقترب من المنزل أو من حظيرة الأغنام
لذلك فهو محبوب عندنا
لا أستطيع بيعه
- هل هذا النوع هو المتواجد هنا
- هذا النوع الموجود عندنا
- ماذا تسمونه أنتم؟
- كلب عادي ولا غير
- كيف تسمونه بالأمازيغية
- نسميه إيدي

- سيد عثمان
- نعم
- أنا سأودعك
- حسنا
- إذا وجدت شيئا إتصل بنا
- سأتصل بكم إن شاء الله
- وإذا أقيم ذلك المعرض فسنتصل بك لنحضر
- إن شاء الله"

ودعنا السيد عثمان على أمل اللقاء به بمدينة الدار البيضاء أثناء المعرض التنافسي للكلاب المستأنسَة.
اختفت ريشة وبقي الأمل في تتويجها كأفضل كلبة من فصيلة مغربية الأصل بالمعرض الذي سيشهد تنافسا حاداً بين سلالات كلبية مختلفة.

الفـــاصل

وكأن القدر تدبر من أجلنا هذا التوقيت المتزامن مع عزمنا على النبش جدياً في موضوع الكلب الأطلسي.
ولا أعظمَ حليفاً من القدر حينما تتزاحم في الخاطر الأحلام والأمنيات!

بعد مدة، غادرنا إملشيل وحضرنا مكان المعرض في الموعد المحدد، أواخر شهر مارس من سنة 2022 بمدينة الدار البيضاء.
الأجواء راقية وحماسية هنا، وقد راقنا مستوى تنظيم هذه التظاهرة الفريدة، ولفت انتباهنا كم الحضور ونوعيته، وأعداد الكلاب وطبيعة سلالاتها.

مكن هذا الفضاء الرحب جموع الحاضرين من التعرف على هذه الأنواع وبعض سماتها وأساليب تدريبها وتطويعها.

بالمساحات المعدة للتباري، أحضر المشاركون أنواعاً عديدةً من أشهر الكلاب الأجنبية المسموح بتدجينها وطنياً.

أغلب المتنافسين أحضروا نوع الراعي الألماني المعروف؛ واحد من أكثر الكلاب إخلاصا وحماية.. السهلَ التطويع والتدريب.
بعض المتباريين فضلوا إحضار كلاب أخرى عديدة جلها أجنبية قوية البنية ومهجنة.
وهي، في الغالب، كلابٌ للحراسة والكشف عن المتفجرات والمخدرات ومطاردة المجرمين وإنقاذ المنكوبين.
من هذه الأنواع الشرسة المعروفة؛
الروت وايلر، وكاني كورسو والدوبرمان والدوگ الأرجنتيني، وغيرها من الفصائل ذات البنية الجسدية العملاقة والعضلات القوية المستعملة للحماية والتعقب منذ القدم، وإلى حدود الآن.

أنواع أخرى وفدت على المكان، جلها من ضمن هذه الأنواع التي خلفها وراءهم الأوربيون بالمغرب، والفرنسيون منهم خاصة، زمن الحماية.

ثم بعض أنواع الكلاب المنزلية الجميلة.. للزينة والترفيه والمؤانسة.

كلب "تشاو تشاو" الصيني الملكي الشبيه بالدب، المربع الشكل، نزل ضيفا شرفيا يتيما، يتجول رفقة مالكه خارج حلبة السباق دون أن يحالفه الحظ في مصادفة مار من ذوي القربى.

ومن يدر، فلعل فصيلته تغزونا يوما ما كما غزتنا منتجات بلدها، وغزت أسواق هذا العالم برمته.

حضور مهم لكلب الصيد المغربي "السلوقي" العربي الأصل، الصياد الأسرع رقم واحد في العالم، القادم مع عرب اليمن زمن الموحدين خلال القرن الثالث عشر الميلادي.

هذا الكلب الوديع المسالم والقنوع، لا يكلف سوى وجبة واحدة في اليوم، يقنع كالزاهد الدرويش ببلبولة الشعير مع قليل من السمن أو الزيت.
نظيف بطبيعته يأنف من الجلوس على الأرض ويعاف شرب المياه القذرة، ولا يأكل من طريدته ولا اللحم الذيء أصلا، ويحرص على عدم قضاء حاجته في المنازل.

لكنه يواجَه هو أيضاً بالكثير من الجحود في بلده.

إستجواب كريم العراقي / منظم التظاهرة

- "مناسبة اليوم تتعلق بمسابقة السلالات المتعددة
التي تقام مرة كل سنة
وهي تشمل كل السلالات التي تتواجد بالمغرب
والمتوفرة على شهادة تثبت نسبها
وهي تدخل في الجدول الرسمي للإتحاد الدولي للكلاب
تحت بطولة CACIB
التي تعني شهادة الكفاءة لبطولة العالم للجَمَال
لدينا حكام من فرنسا ومن الباكستان ومن صربيا
وهم حكام باستطاعتهم التحكيم على كل السلالات
وهم من خيرة الحكّام بالعالم
والمغرب يناضل منذ سنوات من أجل الوصول إلى مستوى عال
هذا صعب لكننا في تطور كل سنة ولله الحمد
مؤخراً حلّ الوباء فعرقلنا لمدة سنتين
لكنه أمر عانى منه الجميع
هذا الحدث يجمع كل السلالات
وهو سيستمر لثلاثة أيام
أيام الجمعة والسبت والأحد
وهناك ما يقرب على الأقل من 400 كلب مشارك

لذلك فهدفنا في الجمعية المركزية لتربية الكلاب بالمغرب
هو الإهتمام بالكلبين المغربيين اللذين نتوفر عليهما
والخاضعين للمعايير: السلوگي والأيدي، كلب الأطلس
هذان هما النوعان الخاصان بنا
والمحددان في معايير الإتحاد الدولي للكلاب كسلالة خاصة بالمغرب
وهذا أساس وجودنا منذ سنة 1934 "

ها هي ذي ريشة البهية القد، المكتملة الأوصاف، بخفتها المعهودة تتجه صحبة مالكها عثمان للمشاركة في المسابقة.

السيد عثمان تواق إلى تتويج يثمن صواب اختياره لسلالة أصيلة مجهولة ومنتمية إلى بلده.
كفاءات ريشة عالية وقدرتها التنافسية كبيرة، وحظوظها في الفوز لن تكون عاثرة بلا شك

- "هل قمت بتسجيلها في المسابقة؟
- نعم هي الآن مسجلة في الدوري
بعدما تم تقييدها في السجل الأولي
وهي أول مشاركة لها في المسابقة"

غير بعيد عن المكان الذي تجرى فيه المنافسات الخاصة بكلاب الأيدي، تتبارى كلاب من سلالات أخرى مستأثرة بالاهتمام، من أجل خطف الأضواء ونيل مراتب أولى.

في الجناح الخاص بأيدي الأطلس تلهو ريشة غير عابئة بما يجري حولها.

يبدو أن المنافسة على المركز الأول ستكون صعبة، فعثمان المشارك بكلبة وحيدة، وجد نفسه في مواجهة منافس محترف يشارك بأكثر من عشرة كلاب أصيلة مدربة.

إنه السيد محمد حجالي، أحد مربي كلاب الأطلس.
هذا المستميت من أجل نيل الجائزة ورد الإعتبار لفصيلة كلابه تكبد مشاق المشاركة في هذه التظاهرة، كما تكبدها من أجل التعريف به عبر العالم.

استجواب محمد حجالي / أحد المتبارين

- "نحن بصدد الحفاظ على السلالة منذ وقت بعيد
ومع الأسف فكلب الأطلس لم يعد له وجود في العالم
لم يبق هنالك سوى آثاره بالأطلس
- بمعنى أنه كان في مناطق أخرى قبل الوصول إلى هنا؟
- أصله مغاربي من المغرب والجزائر وتونس وليبيا
فقدته تونس للأسف والجزائر كذلك
لكن نتمنى أن يُحسنوا سلالتها بدورهم
في أوروبا وكندا يقومون بتربيتها
لكن هذه السلالة للأسف بدأت تنقرض بالمعنى الحقيقي للكلمة
ونحن الآن بصدد تحسين السلالة أولاً
وما نحاول أن نوصله للناس هو أنه ليس كلباً راعياً
بل كلب حراسة وكلباً للعمل
دورنا أن نوصله الى مستوى الرينغ {رياضة خاصة بالكلاب}
حتى يعتبره الإتحاد الدولي كلباً للعمل والخدمة
لأنه كلب جيد للعمل وهو فصيلة خالصة
100% طبيعية

هذا إسمه 'إفران'
عمره أكثر من 13 سنة
وهو آخر عينة كانت لدينا منذ البداية
وهو ضيفنا الشرفي أتينا به فقط حتى يراه الناس
وليتعرفوا من خلاله على كلب الأطلس
كيف كان وكيف أصبح وهو الآن في حالة تدهور
لذلك يجب الحفاظ على سلالته والعمل على تحسينها"

تدخل الكلاب الواحدة تلو الأخرى الى حلبة التباري في مرحلة أولى، ويتم تركيز لجنة التحكيم على كل واحد منها على حدة لاختيار المؤهلة للمرور الى الدور النهائي.

يتقدم منافس السيد عثمان لعرض كلابه المختلفة الأعمار أولاً أمام لجنة التحكيم التي تدقق في مواصفات كل كلب على حدة.

من المعايير المعتبرة في مثل هذه المباريات التنافسية، أن تكون العينة ذات هيئة سليمة وجذابة، خالية من العيوب، ومتمتعة بذكاء فائق ومشية ثابتة ووثبات قوية دالة على القدرة الفائقة على المناورة، وأذنان مرنتان دالتان على اليقظة ورهافة الحس، إلى جانب التمتع بحاسة شم قوية، وغيرها من المقاييس والمعايير.

ينتهي اختبار مواصفاتها وقدراتها، وفق القواعد المعمول بها، ثم يحين موعد عرض ريشة على لجنة التحكيم

- "أين هو صاحب الكلبة؟
- نادوا عليه"

ولضمان عرض أفضل دون مفاجآت غير مرغوبة، اعتمد السيد عثمان على خبرات مدرب محترف لتقديم يد المساعدة ولتسهيل المهمة أكثر.

حوار المدرب مع عثمان

- "اِبقَ بعيداً قليلاً عن الكلبة
- أتراجع قليلا أليس كذلك؟
- نعم، حين تكون الكلبة هنا
اِبق أنت هناك
- حاضر"

طلب المدرب من السيد عثمان أولا الابتعاد عن كلبته ريشة قدر الإمكان حتى لا تنجذب نحوه فتخسر الرهان.

- سنكون نحن هنا
وعلى الكلبة أن تنظر إلى هنا
وقم بتمريرها قبالتك
قم بالمناداة عليها
- ريشة!

الشريحة الإلكترونية في الجهة المقابلة معك
إنها هنا
- لم أجدها بعد
الآن وجدتها

هي ليست تماماً في مكانها
إذن هي رقم 803
اسمها 'ريشة'
جيد
رأس أنثى جميل
- قم بالمناداة عليها
- ريشة!
لنر أسنانها
جيد
أسنان جيدة
لديها بشرة جيدة
هي من فصيلة كلب الأطلس
وينبغي أن يكون ذيلها في حالة الراحة هكذا
وليس إلى الأعلى
يجب تركها في حالتها الطبيعية
لديها زوايا جيدة
لديها اتزان جيد
شكل الأذن صحيح
لأنها أنثى فنحن نقبل شكل الأُذن على شكل وردي قليلاً
الرأس دقيق حاد قليلا
هذا ليس عيباً في المعيار النموذجي
لكن البقع على قوائمها هي ما نسميه جينات التخفيف
ربما بسبب تزاوجٍ مع كلب صيد
يعني عليها التزاوج مع كلب لا يعاني هذا الخلل
لكنها جميلة على العموم
إذا سندفعها للجري
هيا من هنا"

جرى الاختبار التنافسي تحت إشراف حكام خبراء وطنيين ودوليين من ضمنهم الحكمة الدولية السيدة خديجة إد سيدي يحي، رئيسة فئة أيدي الأطلس.
السيدة خديجة، هي كذلك الرئيسة الفعلية لنادي أيدي الأطلس المؤسس منذ سنة 1985

استجواب خديجة إد سيدي يحيى / حكمة دولية ورئيسة نادي أيدي الأطلس

- "كلب الأطلس لديه معايير مثل عدد معين من السلالات
وهو مسجل لدى الإتحاد الدولي للكلاب السلالية العالمية
- منذ متى؟
- منذ أمد بعيد، يرجع إلى سنوات الستينيات
أول سلالة سُجلت خلال سنوات الستينيات
آخرها كانت سنة 2003
وبطبيعة الحال، يتم القياس وفق قواعد هذا المعيار
الذي يعطينا عدداً من المقاييس المرجعية
حول شكل رأس الكلب مثلاً
الذي يجب أن يشبه، كما نقول، رأس دب
أي مثلث الشكل
فإذا كان كلباً جبلياً
فبطبيعة الحال ينبغي أن يحظى بفرو كثيف
حتى يستطيع حمايته من قساوة المناخ
ولكن كذلك من الهجومات
لأنه في الأصل هو كلب للوقاية من هجمات المفترسين
في الأطلس المتوسط كانت هناك فيما مضى
نمور بداية القرن التاسع عشر
الآن لم يعد الأمر كما كان
في تلك المرحلة كان يحمي القطعان ومساكن مالكيها
لديها قوائم ذات طبيعة أقوى
فهي كلاب ريفية
ولذلك فهي صلبة جداً
وهي كلاب يجب أن تتوفر على اصطباغ جيد:
أنف ذو لون أسود أو بني
بمحيط عين مخضب مثل امرأة
وآذان ينبغي أن تكون مثلثة متدلية
يُقبل أن تكون مرفوعة قليلاً للانتباه
لكن غير مستقيمة أبداً
وفيما يخص الذَنَب

يجب أن يكون مثل سيف أحدب
أي أن لا يكون في وضعية راحة ولا مرتفعاً ابداً
عندما يجري يمكنه أن يكون مرتفعاً
- هل يمكن أن نجدها في بلدان أخرى في العالم؟
- يعتقد أنه في البلدان المجاورة هناك أيضا كلب الأطلس
لكن بالنسبة إلينا، فما رأيناه خلال المعارض الوطنية والدولية
بيّن لنا أنها كلاب من أصل مغربي
- من الذي أطلقه عليه إسم أيدي؟
- السيدة باسكون الفرنسية كانت من بين الحكام الأوائل
وعندما كانت تتجول في الأطلس المتوسط
وحين تسأل من يكون نوع هذا الكلب
يجيبونها أنه 'أيدي' الذي يعني بطبيعة الحال الكلب باللغة الأمازيغية
والآن عندما غيرنا المعيار المرجعي
أصبح كلب جبال الأطلس
لكننا احتفظنا على إسم (أيدي) لأنه أولاً
هو الإسم الذي عُرف به منذ وقت طويل
ثم إن هذا سيُمَكن من ترتيبه الأول
بالمجموعة الثانية من أول الحروف الأبجدية"

- "إنها مجموعة جد جميلة
برأس أنثوية جداً
لطيفة جداً
هيئة جد جميلة
قوية
الرأس في نظري دقيق قليلاً
لكنها ضمن المواصفات المعيارية للفصيلة،
وهو أمر مقبول
مزاياها هي الفرو
فهي أولاً ذات فرو بجودة عالية
يجب العمل على استعمالها للتزاوج
سنمنحه ميزة الأول بامتياز"

تتأهل ريشة الى الدور النهائي، وعثمان لا يخفي سعادته بهذا الإنجاز المهم له خصوصاً وهو يشارك للمرة الأولى.

حوار مع السيد عثمان

- "كيف سارت الأمور؟
- الحمد لله على أحسن ما يرام
لقد نالت إعجاب لجنة التحكيم
- وماذا قالت لك؟
- قالت إنها تمتاز بفرو جميل جداً
ومن الناحية المورفولوجية فهي جيدة
- الآن أنت لازلت تنتظر النتيجة؟
- تم الإعلان عن نتيجة الدور الأول
لقد تم منحها علامة: ممتاز
بقيت الآن الجولة الأخيرة:
أحسن كلب على مستوى السلالة."

بعد المداولات واختيار الكلاب المؤهلة للدور النهائي، يزداد التنافس حدة ويزداد معه منسوب الأدرنالين عند السيد عثمان وهو متوجه رفقة ريشة نحو الحلبة.

- "على العموم الأقل عيوباً
والأكمل هو الذكر

- قوموا بدورة من فضلكم!
- هيا!
- ضعها يساراً!
- هيا هيا
- هذا طبيعي بالنسبة لشابة
- نعم بسرعة أكبر
- نعم هذا صحيح
عادي أن يبدو رأسها طفولياً
لكن بالنسبة للباقي فلا بأس به
تمشي بشكل جيد"

كان الأمر صعباً في تحديد الفائز

- "هل نستطيع التحقق؟"

الجو مشحون ببعض التوتر والقلق، والنقاش محتدم للفصل في النطق بالحكم النهائي.

- "اعتبرناها الممتازة لأنها وحيدة
- ليس فقط لأنها وحيدة بل لأنها تستحق ذلك
- إذن هي الأفضل مقارنة مع الآخر"

حكَّم أوصياء التحكيم المعايير الدولية المتبعة، ودققوا في مقاييس النوع المعتبرة، ثم حسموا الأمر استنادا كذلك، على السلطة التقديرية الممنوحة للحكام.

- "حسنا اتفقنا
الأنثى هي الأفضل"

وفازت البطلة ريشة بالمنافسة، أخيراً.

- "الرقم 308 الأفضل في السلالة"

عثمان برادة

- "ماذا هنالك؟
- الحمد لله
نالت ميزة الأفضل في السلالة
- الأفضل ضمن السلالة؟!
- نعم
- هذا ممتاز!
- أي أنها هي الأفضل من بين كل كلاب هذا اليوم
قبلها نالت ميزة الأفضل ضمن مجموعتها
والآن نالت ميزة الأفضل ضمن السلالة"

الخاتمة

السيد عثمان ومنافسه السيد محمد من قلة قليلة عملت ولا تزال بجد أكبر من أجل قضية التراث السلالي الإحيائي الوطني المهمش والملتبس على المواطنين.
وهما يستحقان لأجل ذلك التشجيع والاقتداء بتجربتهما الرائعة في أساليب تعميق التفاعل الإيجابي مع أحياء العالم من حولنا.

استجواب محمد حجالي / متنافس

- "هي سلالة قوية
- لم يتدخل فيها الإنسان
- لم يتدخل فيها الإنسان
هي آتية من عند المولى سبحانه وتعالى
لكنها فصيلة قوية جداً
وهي رائعة
هو كلب بمواصفات كاملة والحمد لله
وعلى كل حال علينا أن نتواصل مع الناس كمغاربة أولاً
لأجل إعطاء القيمة لهذا الكلب
لأنه من الممكن أن يحدث لنا نفس ما حدث مع أسد الأطلس
في يوم ما سنقول لأبنائنا
بأنه كان عندنا كلب اسمه كلب الأطلس"

استجواب منظم التظاهرة / كريم العراقي

- "الحل الوحيد هو أن يشرع الناس في تربية هذه الفصائل
عليهم أن يربوها
لماذا نربي سلالات أخرى دون ذكر اسمها
رغم كونها أيضا جيدة
نحن لدينا سلالتان رائعتان من جميع المناحي
ينقصها من يأخذها ويعتني بها جيداً
وينقصها الأطباء البيطريون
والتعريف بها عبر العالم
وتكون هنالك منافسة
وبهذا ستعود هذه الفصيلة
وهذا هو الحل الوحيد

وهو أن يبدأ الناس في تربيتها وتكون الأسبقية لها
فالمربّون يهدونها لك
عليك فقط أن تأتي لأخذها
الناس لا زالت تخاف قليلاً
لكن عكس ذلك هي سلالة عريقة غير مهجنة
وهي خالصة ورائعة من جميع النواحي"

خدمات أيدي العديدة نتاج لما منحه سكان الأطلس لهذا الصياد والحامي، من تمرين هادف ومن تدريب وتطوير للعمل في الجبال كوصي حراسة، وكراع جيد لقطعان الأطلس، حسب ما تقتضيه حياة الجبال وظروف ساكنتها.
وقد أثبتت هذه التجربة مع هذا الحيوان مدى قابليته لكي يتحول من طبيعته الوحشية إلى حيوان أليف، طيّع وصديق رفيع مخلص للأسرة.

حوار بن الحسن احساين

- "الكلب جيد
أنا أحبه
إنه جيد لأنه يعس
ويراقب جيدا أكثر من الإنسان
كل وتربيته
هناك من رباه ليحرس الدوار والماشية
وهناك من رباه ليحرس الدوار
فهو يحرسه لا غير
الكلب مفيد
موته كموت الإنسان
إذا مات الكلب
فكأنما مات الإنسان
إنه كلب جيد"

فهل ستنجح مساعينا وجهود المهتمين في حماية هذه الفصيلة المغربية الخدومة من الضياع والإنقراض؟

احمد شرماض
يوليوز ٢٠٢٢